البيئة النباتية وآثرها في استخلاص العقاقير الطبية لدى ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)

أ.م.د. غادة بنت عبدالله بن عبدالرحمن القبلان

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

ازدهر علم النبات كثيرًا عند العرب والمسلمين ضمن اهتمامهم بالطب والصيدلة، وبرز في هذا العلم مجموعة من الأعلام الذين شعَّ أثرهم في علم الأدوية والعقاقير المعتمدة على بيئة النباتات. وكان من أبرز هؤلاء إمام العشَّابين وشيخ علماء النبات ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار نسبة إلى والده الذي كان بيطريًا، والذي يوصف بأنه أعظم النباتيين والصيادلة في الإسلام، وأوحد زمانه في معرفة النبات، وأعظم عالم نباتي وصيدلي في العصر الإسلامي.

وهذا البحث هو محاولة لقراءة أثر البيئة النباتية فيما وصل إليه هذا العالم المبدع من اكتشافات لمجموعة واسعة من العقاقير الطبية المعتمدة على النباتات سواء في منشأه بالأندلس أم خلال رحلاته في عديد من البلاد إلى أن استقر في دمشق وبرع فيها.

الكلمات المفتاحية: البيئة، النبات، العقاقير، الصيدلة، ابن البيطار.

Abstract

Research summary: The plant environment and its effects on the collection of medical drugs in Ibn al-Bitar (d. 646 AH / 1248 AD) Botany flourished a lot among Arabs and Muslims within their interest in medicine and pharmacy, and a group of flags whose impact was radiated in the science of pharmaceuticals and drugs based on the environment of plants emerged in this science. The most prominent of these was the Imam of the herbs and the sheikh of botanists Ziauddin Abu Muhammad Abdullah bin Ahmed Al-Malki, known as Ibn Al-Bitar in relation to his father, who was a veterinary, who is described as the greatest vegetarians and pharmacists in Islam, and united his time in knowing the plant, and the greatest botanist and pharmacist in the Islamic Age.

This research in which I am advancing here is an attempt to read the impact of the plant environment in what this creative world has reached from the discoveries of a wide range of plant-based medicinal drugs, whether in its origin in Andalusia or during his trips in many countries until he settled in Damascus and excelled in it.

Keywords: environment, plant, drugs, pharmacy, son of bitar

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد البشر أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وعنا معهم إلى يوم الدين.. أما بعد:

فتعرَّف البيئة النباتية بأنها مجموعة الظروف أو العوامل ذات الأثر الفعَّال التي يعيش تحتها النبات، بما يعني (المجتمع النباتي)، أو بمعنى آخر، إنها مجموعة العوامل التي تؤثر على النبات أو المجتمع النباتي، وترتبط بالمكان الذي يعيش فيه.

وقد ازدهر علم النبات عند العرب والمسلمين بازدهار العلوم بمختلف ميادينها؛ وذلك ضمن اهتمامهم بالطب والصيدلة، وبرز في هذا العلم مجموعة من الأعلام الذين شعَّ أثرهم في علم الأدوية والعقاقير المعتمدة على بيئة النباتات. وكان من أبرز هؤلاء إمام العشَّابين وشيخ علماء النبات ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، الذي وُصف بأنه أعظم النباتيين والصيادلة في الإسلام، وأوحد زمانه في معرفة النبات، وأعظم عالم نباتي وصيدلي في العصور الوسطى كلها بعلمه وأثره.

هذا البحث هو محاولة لقراءة أثر البيئة النباتية فيما وصل إليه هذا ابن البيطار من اكتشافه لمجموعة واسعة من العقاقير الطبية المعتمدة على النباتات بحسب بيئاتها المتباينة، حيث يُحسب الفضل لابن البيطار في إنشاء مدرسة متميزة بما تركه من آثار وافرة في علم النبات والأعشاب واستخلاص الدواء، وبما أضافه من دراسات رائدة في هذا المجال، مع ما يُحسب له من إسهامه في استقرار المصطلح الطبي العربي من خلال معجمه الموسوعي

"الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الذي أصبح من بعده مصدرًا ثريًّا لكل متخصّص في العقاقير الطبية، وذاع صيته لدى أطباء العرب والغرب.

كما تُظهر أعمال ابن البيطار في مؤلفاته ومعاجمه براعته ودقته في التفريق بين بيئات النبات التي وقف عليها سواء في منشأه الأصل الأندلس أو من خلال رحلاته التي استغرقت بقية عمره، فأظهر تميزه في الكشف عن ماهيات النباتات وتصنيفاتها ومنافعها، مع ما تميَّز به ابن البيطار من منهجية علمية فريدة تعتمد التجربة وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط فيما يقف عليه من نبات في مواضعه لا على النقل والخبر في ذلك.

ولعلَّ من أبرز الأهداف التي يمكن أن تكون ضمن المخرجات العلمية الأساسية لهذه الدراسة ما يأتي:

- التعرّف على اهتمام العلماء المسلمين بالبيئة وتحديدًا بيئة النبات وذلك ضمن اهتمامهم بالطب والصيدلة، حيث برز في هذا العلم مجموعة من الأعلام الذين شعَّ أثرهم في علم الأدوية والعقاقير المعتمدة على بيئة النباتات ومنهم ابن البيطار.
- الوقوف على ما تركه ابن البيطار من آثار وافرة في علم النبات والأعشاب سـ تخلاصاو الدواء، وبما أضافه من دراسات رائدة في هذا المجال.
- التعرّف على جهود ابن البيطار في استقرار المصطلح الطبي العربي من خلال معجمه الموسوعي "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الذي أصبح من بعده مصدرًا ثريًّا لكل متخصّص في العقاقير الطبية، وذاع صيته لدى أطباء العرب والغرب.

- التعرف على ما تميَّز به ابن البيطار من منهجية علمية فريدة تعتمد التجربة، وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط فيما يقف عليه من نباتات في مواضعها لا على النقل والخبر في ذلك.

- الوقوف على ذلك الأثر الوافر الذي تركه ابن البيطار في أهمية البيئة لاستخلاص الدواء، والتعرف على قيمة ذلك في تطور هذا الفرع من الطب في العصر الحديث.

هذا ما أحاول تناوله في هذا البحث؛ محاولة لسبر أبعاد هذه الظاهرة واستجلاء آثارها في استخلاص ابن البيطار وتميزه في علم العقاقير والأدوية اعتمادًا على البيئات النباتية التي كانت مؤثرة فيما وصل إليه، آملة أن تكون هذه الدراسة منطلقًا لمزيدٍ من الدراسات والأبحاث المتَّصلة بإسهامات علماء الحضارة الإسلامية في تطور وارتقاء علم النبات وتأثيراتها في اكتشاف وتنوع العقاقير الدوائية.

ثمَّ إنه نظرًا لطبيعة الموضوع وما حواه من مادة علمية؛ فقد جاء تقسيمه بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث، جاء الأول منها عن علم النبات والبيئة النباتية تحديدًا ليكون مدخلاً ممهدًا للدراسة، تناولت فيه تعريف علم النبات والبيئة النباتية لدى المختصين وعلاقتها بتحضير العقاقير الدوائية، ثمَّ جاء المبحث الثاني بعنوان: ابن البيطار: حياته وآثاره، ثم المبحث الثالث بعنوان: جهود ابن البيطار في استخلاص العقاقير ضمن بيئات النبات، ثمَّ جاءت الخاتمة، وقد تضمنت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وذلك وفق الآتي:

- **المبحث الأول: علم النبات والبيئة النباتية:**

مهمٌ أن أقدم هنا، وفي مستهل هذه الدراسة بمدخل ميسّر عن علم النبات والبيئة النباتية لدى المختصين وعلاقتها بتحضير العقاقير الدوائية، حيث استقل النبات بعلم خاص

به نقل العلماء العرب والمسلمون بداياته عن الأمم السابقة لهم، ثمَّ أضافوا إليه كثيرًا من النظريات العلمية التي نتجت عن دراساتهم المتعمّقة واختباراتهم الميدانية المتقنة حتى ساروا بهذا العلم أطوارًا متقدمة أبلغته منزلة رفيعة ضمن ركب الحضارة الإنسانية.

وقد عرَّف طاش كبري زادة علم النبات بقوله: «وهو علم يُبحث فيه عن خواص نوع النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها. وموضوعه: نوع النبات، وفائدته ومنفعته: التداوي بها، ولابن البيطار فيه تصنيف فائق».(١)

وقد اشتغل العلماء العرب والمسلمون بالنبات وعنوا به، واستخلصوا منه موادَ كثيرةً للطب والصيدلة، وصاروا يعرفون خواص التربة واستصلاح الأراضي للزراعة، كما أدخلوا تحسينات جمَّة على طرق الحرث والغرس والسقي، بعدها انتقلت خبراتهم إلى الأوربيين، فنقلوا من المشرق أعشابًا ونباتات طبية وعطورًا كثيرة كالزعفران والكافور، كما أدخلوا جملة من المواد الطبية في العقاقير والمفردات الطبية.(٢)

وقد اتجهت دراسة النبات عند العرب ثلاث وجهات؛ وجهة لغوية تبين أسماء النباتات واشتقاقاتها اللغوية واستعمالاتها الأدبية، ووجهة طبية كما هو الحال في كتب العقاقير التي تبين خصائص كل نبات في العلاج، ووجهة عملية تطبيقية في كتب الفلاحة وما يتعلق بها من ري وخلافه.

أما كلمة (البيئة)، فيعود الاصل اللغوي لها في العربية، إلى لفظ (بوّأ)، الذي أُخذ من الفعل الماضي (باء) و(أباء) والاسم (البيئة)، والمباءة بمعنى (المنزل)، قال ابن منظور في لسان العرب: (اباءه منزلا) أي هيأه له وانزله فيه. ومنه قولهم: تبوا فلان منزلاً، إذا نظر إلى أسهل ما يرى وأشده استواءً وأمكنه لمبيته، فاتخذه، وتبوأ: نزل وأقام، والبيئة: المنزل وقيل: منزل القوم.(٣)

والبيئة بمعناها اللغوي الواسع تعني ذلك الموضع الذي يرجع إليه الإنسان، فيتخذ فيه منزله ومعيشته، ولعل ارتباط البيئة بالمنزل أو الدار له دلالته الواضحة، حيث تعني في أحد جوانبها تعلق قلب المخلوق بالدار وسكنه إليها، ومن ثم يجب أن تنال البيئة بمفهومها الشامل اهتمام الفرد كما ينال بيته ومنزله اهتمامه وحرصه، ولقد مرت دراسة البيئة بمراحل مختلفة من النمو خلال التاريخ حيث اهتم الإنسان منذ زمن مبكر من تاريخه بالبيئة التي يعيش فيها، وحاول التعرّف على تلك العلاقات التي تربطه ببيئته من ذلك اهتمامه بالنباتات ليختار منها غذاءه ودواءه.(٤)

وقد اتفق معظم العلماء على أنَّ علم البيئة هو دراسة الكائن الحي في مكانه الطبيعي أي بمحيطه بما في ذلك من دراسة تلك العلاقات المتبادلة بين الكائن الحي ومحيطه، بمعنى دراسة العلاقات للموارد الطبيعية من حيث تركيبها ووظيفتها وموقعها.(٥)

وعلم بيئة النبات هو تخصص يندرج ضمن علم البيئة بمعناه الشامل، ويتعلق بدراسة النباتات النامية الموجودة معًا تحت ظروف متنوعة، مثل المستنقعات وأراضي الحشائش الطبيعية والصحارى والغابات. ويتضمن علم البيئة أيضًا دراسة تأثيرات كل من المناخ والإمداد المائي والتربة على نمو النبات. ويهتم علم البيئة كذلك بما يتصل في حل مشاكل الغابات ونمو المحاصيل وحفظ الأنواع والتحكم في الحشرات والأمراض التي تصيب النباتات.

أما بيئة النباتات الطبية، فقد عرّفوها بأنها تلك النباتات التي تمتلك مزايا وخصائص طبية قادرة على استخدامها في تحضير العلاجات لمختلف الأمراض بما تمتلكه كلُّ نبتة من هذه النباتات من خصائص وفوائد تميزها عن غيرها؛ ذلك أنه نظرًا لأهمية تلك النباتات في استخلاص الأدوية العلاجية عند مختلف الشعوب، فقد انتشرت زراعتها في كثير من بقاع الأرض، وكثرت وتنوعت استخداماتها، حيث يتم استخلاصها ووصفها ضمن العقاقير

المستخدمة لأغراض الاستطباب من الأمراض سواء بشكلها الجزئي أم الكلي بما يمكن أن يطلق عليه الدواء المفرد والدواء المركب.

وأشير أيضًا إلى أنَّ استخدام تلك النباتات لأغراض التداوي يعتمد على معرفة خواصها وتركيباتها الكيميائية، يلي ذلك السعي إلى تجربة مفعولها، ويتمُّ ذلك غالبًا على الحيوانات، فإن ثبت جدواها بمفرد النبتة أو أن يضاف إليه مزيج من وصفات أخرى، فيتم اعتمادها وتسجيلها ضمن دستور العقاقير المعتمد للمؤسسة الطبية مع الإشارة إلى مكوّن الدواء وخصائصه وطرق تحضيره ووصف تناوله، وهذه مهمة الصيدلاني ضمن اختصاصات الطب.

وقد ازدهر علم النبات لدى العرب والمسلمين، واهتموا ببيئة النبات منذ عصور مبكرة، ولا تزال مجموعة من العلماء تتردَّد آثارهم في تاريخ الطب والصيدلة، حيث برعوا في الوقوف على بيئات النبات المختلفة، ودرسوا أنواعها وخواصها واستخلصوا منافعها الطبية، وعُرفوا بالمعاينة والتجربة كثيرًا من أحوالها، فتوافرت لديهم من ذلك ثروة معرفية ولغوية فائقة القدر. يرد من هؤلاء كلٌّ من: ابن جلجل، والشريف الإدريسي، وابن الصوري، وأبو العباس النباتي ابن الرومية، وابن البيطار هو من أخصّ هؤلاء.

لنخلص من هذا كله إلى أنَّ تجربة العلماء العرب والمسلمين في علم النبات هي تجربة رائدة ليس لها سابق أو مثل في تاريخ علم النبات، وهي تجربة متميزة في التراث العلمي الإنساني سواء من حيث عدد العلماء الذين اهتموا بالنبات، أو من حيث المذهب الذي ذهبوه في دراسته والمنهج الذي سلكوه في مباحثه، ورغم مشاركة الأمم السابقة لهم في الاهتمام به إلا إنَّ التميّز هنا أن جعل العلماء العرب والمسلمون منه علمًا مستقلاً.(٦)

- **المبحث الثاني: ابن البيطار: حياته وآثاره:**

أولاً: حياته ونشأته:

هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالملك ابن بُونُه المالقي المعروف بالعشَّاب والنباتي والمشهور باسم ابن البيطار الأندلسي، وقد لُقب بالنباتي؛ لأنه كان من أفضل علماء النبات في عصره، وكان من أسرة معروفة في مالقة تعرف باسم البيطار؛ قد يرجع هذا بسبب اشتغالها في البيطرة.(٧)

ينتمي ابن البيطار إلى أسرة علمية، وقد وُلد في مالقة بالأندلس، ولم تعلم سنة ولادته على وجه التحديد، إلا إنَّ هناك من ذكر أنه ولد سنة ٥٧٥هـ /١١٧٩م،(٨) والمؤكد أنَّ ولادته كانت في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ووالده هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد، كان فقيهًا وولي خطة القضاء في بلده، وقد توفي في حدود سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٣م)، وقد اهتمَّ ابن البيطار منذ صغره بالنبات، حتى انصرف في شبابه إلى التعمّق في دراسة النباتات والأعشاب مع أساتذة أجلاء كان لهم فيه تأثيرٌ بارز وخاصة ابن الرومية النباتي الأشبيلي (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) الذي كان ابن البيطار يصحبه للتعشيب في ضواحي أشبيلية وضواحي بعض المدن الأندلسية الأخرى.(٩)

كما درس ابن البيطار على غيره من علماء النبات في بلده، وقرأ كتب النباتات المشهورة بين الأطباء حتى أتقنها نظريًّا وميدانيًّا، ثمَّ عقد العزم بعد ذلك على الارتحال خارج بلدته وتحديدًا في عام ٦١٧هـ (١٢١٩م) حينما غادر الأندلس في رحلة طويلة لم يعد بعدها إلى موطنه. وقد طاف خلالها المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، وإفريقية وطرابلس، حيث درس نباتاتها وأعشابها، وواصل رحلته حتى وصل آسيا الصغرى وبلاد اليونان، واجتمع

خلال رحلته بكثيرٍ من علماء النبات وأخذ عنهم، وعاين النبات في منابته؛ ثم استقرَّ مدة بمصر، وذاع صيته بها وعرفه الأطباء، فاستدعاه الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب (٦١٤-٦٣٥هـ/ ١٢١٨- ١٢٣٨م)، وقد أكرمه وأحسن إليه، واعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش حتى عينه رئيسًا على سائر العشابين في الديار المصرية وأصحاب البسطات.(١٠)

ولم يزل ابن البيطار في خدمة الملك الكامل إلى أن توفي في دمشق سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٨م)، فخدم من بعده الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧- ٦٤٦هـ/ ١٢٤٠- ١٢٤٩م)، وقد حظي عنده بمكانة عالية أيضًا، وقد استقرَّ ابن البيطار في ختام حياته في دمشق وذاع صيته فيها حتى كان له تلاميذ كثيرون أشهرهم الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة والطبيب ابن السويدي، وكانت وفاته فجأة في دمشق في شهر شعبان سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م).(١١)

ثانيًا: شخصيته وآثاره العلمية:

عُرف ابن البيطار بالطبيب، كما عُرف بالنباتي، وذلك لكون اهتمامه بالنبات قد غلب عليه أكثر، فسُمي بالنباتي أو العشَّاب، وهو مستحق هاتين الصفتين عن جدارة؛ لأننا لا نعرف كثيرًا ممن خصَّ النبات بمثل ما خصه هو به من العناية والبحث، فطلبه في مظانه وارتحل من أجله لإحكام معرفته به، وكان قد اهتمَّ به في شبابه الأول، فعشَّب في موطنه الأصلي الأندلس وتعرَّف على محيطها الطبيعي النباتي صحبة أساتذته، ثمَّ غادر بلاده في رحلة علمية نباتية لم يعد بعدها إلى الأندلس.(١٢)

وكانت دمشق محطَّ رحاله بعد سلسلة من الرحلات، وقد أشاد ابن أبي أصيبعة بشخصيته وكمال أخلاقه، وذلك من خلال اجتماعه به في دمشق قبل وفاته بثلاث سنوات، ووصف حسن عشرته بقوله: «وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ورأيت أيضًا من حسن عشرته، وكمال مروءته، وطيب أعراقه، وجودة أخلاقه، ودرايته، وكرم نفسه، ما يفوق الوصف ويُتعجب منه».(١٣)

وكان ابنأبي اصيبعة قد ابتدأ ترجمته بالثناء عليه ونعته بأوصاف التميّز بقوله: «هو الحكيم الأجل العالم أبو محمد عبد اللّه بن أحمد المالقي النباتي، ويعرف بابن البيطار أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها».(١٤) كما أثنى على ذكائه وفطنته وحسن درايته في علوم النبات بقوله: «وأتقن دراية كتاب ديقوريدس إتقاناً بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه، وذلك أنني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات في نقل ما ذكره ديقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه».(١٥)

وفي ترجمة الكتبي له قال عنه: «[ابن البيطار] عبد الله بن أحمد، الحكيم العلامة ضياء الدين ابن البيطار الأندلسي المالقي النباتي الطبيب، مصنف كتاب "الأدوية المفردة" ولم يصنف مثله. وكان ثقة فيما ينقله حجة، وإليه انتهت معرفة النبات وتحقيقه وصفاته وأسماؤه وأماكنه، لا يجاري في ذلك، سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم، وأخذ فن النبات عن جماعة، وكان ذكيًّا فطنًا».(١٦)

ويُثني على ذلك صاحب كتاب "الموجز في تاريخ العلوم عند العرب" بقوله: «والحق أن ابن البيطار كان أعظم عالم نباتي وصيدلاني ظهر في العصور الوسطى كلها. كان

أوحد زمانه في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها».(١٧)

وكان ابن أبي أصيبعة قد قام معه برحلة علمية ميدانية إلى خارج دمشق لدراسة نباتاتها في مواضعها، وقد وصف تلك الرحلة بقوله: «ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيرًا من النباتات في مواضعه، وقرأت عليه أيضًا تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس، فكنت اجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئًا كثيرًا جدًّا».(١٨)

ثمَّ يعجب ابن أبي أصيبعة من غزارة علمه ودرايته وفهمه، وطريقته في أداء درسه وذلك بقوله: «وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن، فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله، ويذكر أيضًا ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك، ويذكر أيضًا جملاً من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته. فكنت أراجع تلك الكتب معه، ولا أجده يغادر شيئًا مما فيها. وأعجب من ذلك أيضًا أنه كان ما يذكر دواءً إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة».(١٩)

أمَّا عن آثاره العلمية، فقد ترك ابن البيطار جملة من الكتب العلمية جُلّها في الأدوية المفردة، ذكر منها ابن أبي أصيبعة خمسة كتب وفق الآتي: «ولضياء الدين بن البيطار من الكتب كتاب الإبانة والإعلام، بما في المنهاج من الخلل والأوهام. شرح أدوية كتاب

ديسقوريدس. كتاب الجامع في الأدوية المفردة، وقد استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها، وبيَّن الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه، ولم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه، وصنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل. كتاب المغني في الأدوية المفردة، وهو مرتب بحسب مداواة الأعضاء الآلمة. كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة».(٢٠)

هذه أشهر مؤلفات ابن البيطار إلا أنَّ أشهرها على الإطلاق موسوعته النباتية المسماة "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، الذي وصف فيه أكثر من ألف وأربع مئة عقار نباتي وحيواني ومعدني منها ثلاث مئة من محض اكتشافه إلى النباتات التي عرفها العرب من قبل سواء عن طريق الترجمة أو عن طريق التجارب الخاصة، مبينًا الفوائد الطبية لكل واحد منها، وقد وضعه وهو مقيم في مصر، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء، وقد تمت ترجمته إلى اللاتينية ثم إلى الفرنسية مؤخرًا.(٢١)

ولم تقتصر جهود ابن البيطار – رحمه الله – على ذكر مئات الأدوية والعقاقير، بل إنه أسهم في استقرار المصطلح الطبي العربي وأثرى معجمه "الجامع" الذي تجانست فيه لغة العلوم الطبية وأسهم في انضباط المصطلح الطبي بمنهجية علمية دقيقة، وأصبح من بعده مصدرًا ثريًّا لكل متخصّص في العقاقير وذاع صيته لدى أطباء أوروبا والغرب.(٢٢)

- **المبحث الثالث: جهود ابن البيطار في ا سـ تخلاص العقاقير ضمن بيئات النبات:**

عني العرب والمسلمون ببيئة النبات أيما عناية، واهتموا بما تنبته الأرض من شجر وعشب وبقل، وعَرفوا بالمعاينة والتجربة كثيرًا من أحوال النبات وأسمائها وأجناسها ومنافعها وبيئاتها، فتوافرت لديهم من ذلك ثروات معرفية ولغوية لا يستهان بها في مجال

النباتات واستخداماتها في تحضير الأدوية والعقاقير الطبية، ليس هذا فحسب بل إنهم عمدوا إلى معرفة أصناف عديدة من نباتات البلاد الأخرى التي يزورونها أو يستجلبونها منها، ونتج عن ذلك مجموعات من المعاجم المختصة بالنباتات التي أصبحت أساسًا للمعارف العلمية في هذا المجال.(٢٣)

وكان ابن البيطار من أولئك العلماء الذين ارتبطت أسماؤهم ببيئة النبات ومعارفها وفوائدها منذ صغره في بيئته الأولى التي نشأ بها، حيث أخذ في مراقبة التنوع النباتي ضمن تلك البيئة ووقف على أصنافها وتعرَّف إلى أوصافها وأشكالها في الميدان. ودعم تلك الهواية أن وُجد في بلدته عالم مميّز بالنبات هو ابن الرومية صاحب الشهرة العظيمة في علم النبات، وقد كان يصطحب ابن البيطار إلى الريف المجاور لمعاينة أنواع النبات ودراسة أحوالها، إلا إنَّ ابن البيطار فاق أستاذه، بل امتاز في أبحاثه العلمية والتجريبية والتطبيقية على باقي عشَّابي زمانه، فكان رحمه الله الطبيب الحاذق والعشَّاب البارع الذي عرف خصائص الأعشاب، فاستطاع أن يخرج من دراسته للنبات والأعشاب بمستحضرات ومركبات وعقاقير طبية تُعدُّ ذخيرة للصيدلية العالمية، ثمَّ إنَّ ابن البيطار بتعدّد أسفاره وتنوّع بيئاته يُعدُّ عالمًا طبيعيًّا ميدانيًّا، ويدرس الأشياء عن كثب وفي أمكنتها الطبيعية ويتحقق منها بنفسه، مع ما تميَّز به ابن البيطار من منهجية علمية فريدة تعتمد التجربة وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط وتحري الصدق والدقة والأمانة في النقل.(٢٤)

وقد نما وترعرع علم النبات على يدي ابن البيطار إذ أولاه الاهتمام الجاد؛ لأنه يحتاج إليه في الطب والصيدلة والفلاحة، وينقل الدفاع عن عبدالرزاق نوفل في كتابه "المسلمون والعلم الحديث" مقدرة ابن البيطار ونبوغه في ذلك بقوله: «ضياء الدين هو أول عالم اهتم بدراسة الحشائش التي تنبت في الحقل، وتضر بالمحاصيل، وكون لذلك مجموعات في الأنواع

المختلفة والأصناف العديدة التي تختص بكل محصول، وما زالت فكرة تكوين مجموعات الحشائش هي الأساس الذي يلجأ إليه علماء النبات في أبحاثهم حتى الوقت الحاضر».[٢٥]

ولم يكتف ابن البيطار ببيئته المحلية رغم ما سجله خلال إقامته فيها من نبوغ في هذا المجال، مما ما زرع في داخله حب الاطلاع والتوسع في معارف النباتات وبيئاتها الأمر الذي دعاه إلى أن يخرج من محيطه الصغير إلى محيط أرحب بأن توجه للرحلة والانتقال بين مجموعة من البيئات والأقاليم التي اعتقد أنها ستسدُّ نهمه العلمي والمعرفي، وقد قضى حياته متنقلاً بين أمصار مختلفة البيئات للبحث عن النباتات الطبية والوقوف عليها ومشاهدتها بنفسه والتيقن من فوائدها.

ومن خلال مؤلفات ابن البيطار ومعاجمه في الأدوية تظهر لنا براعته ودقته في التفريق بين نباتات كلّ بيئة، وهو أمر لم يُسبق إليه من أصحاب التخصص في علم النبات والأدوية، وذلك بتميزه في الكشف عن ماهيات النباتات وتصنيفاتها دون خلط، وهذا مؤشر واضح لمدى دقته في معرفة خواص البيئة النباتية والتفريق بين بيئة وأخرى، وشواهد ذلك ماثلة ومتكررة في مؤلفاته.

وكان مما ميَّز ابن البيطار في ذلك كثرة رحلاته وتنقلاته بين مختلف البيئات التي ظنَّ أنها ستبني معرفته بالتخصَّص، ذلك أنه وبعد أن اطلع على بيئة الأعشاب والنباتات في موطنه الأندلس، التفت إلى بيئات أخرى لا تقل عنها أهمية في ذلك؛ فقرَّر مغادرة الأندلس إلى المشرق الإسلامي مرورًا بمناطق المغرب وإفريقية وطرابلس، وواصل سيره حتى وصل آسيا الصغرى، فزار بلاد اليونان ووصل به المطاف إلى أقصى بلاد الروم، ثم اتجه إلى بلاد فارس والعراق ثم بلاد الشام فمصر، ولم يكن مروره بتلك البلدان عابرًا، بل إنه كان يُقيم بكل بلد

يحل فيه مدة ينصرف أثناءها إلى التعشيب بحثًا عن النباتات في مظانها وإلى مُلاقاة ذوي الاختصاص من أهل الصناعة فيأخذ عنهم ويتدارس معهم مسائل النبات، وقد تهيأت له من كل ذلك معرفة بالنبات مُعمقة قد فاقت أقرانه وسابقيه حتى نعت بأنه أوحد زمانه في ذلك.(٢٦)

ويثمّن ذلك قدري طوقان بقوله: «ابن البيطار أعظم عالم نباتي ظهر في القرون الوسطى، ومن أكثر العلماء إنتاجًا. درس النبات في بلاد مختلفة، وكان لملاحظاته الخاصة وتنقيحاته القيمة الأثر الكبير في السير بهذا العلم خطوات واسعة».(٢٧)

وحول ذلك ينقل الدفاع عن عز الدين فرَّاج في كتابه "فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية" قوله: «وعلماء النبات المسلمون كثيرون، ويعتبر ابن البيطار أكثرهم إنتاجًا وأدقهم دراسة في فحص النباتات في مختلف البيئات، وفي مختلف البلاد، وكان لملاحظاته القيمة أكبر الأثر في تقدم هذا العلم. ويقول عنه معاصروه إنه الحكيم الأجل، العالم النباتي وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره».(٢٨)

ويضيف الدفاع ناقلاً عن أسامة عانوتي في كتابه "روائع من التراث العربي" قوله: «وقد اتضح لنا أنَّ الأوصاف والمعلومات (الاستطبابات) الأساسية التي أتى بها ابن البيطار، صحيحة في جوهرها وليس أدل على ذلك من أنَّ طائفة عظيمة من الأعشاب والنباتات التي طوى عليها كتابه، قد اعترف بجدواها الطب الحديث، ودخلت في علم العقاقير مواد ثبت صلاحها في معالجة أمراض عديدة».(٢٩)

وقد أكّد ذلك عمر رضا كحالة في كتابه "العلوم البحتة في العصور الوسطى" بقوله عن ابن البيطار: «كان أوحد زمانه في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت

أسمائه على اختلافها وتنوعها، سافر إلى بلاد الإغريق وأقصى بلاد الروم في أسية الصغرى، ولقي جماعة يعانون علم النبات وأخذ عنهم معرفة نباتات كثيرة، وعاينها في مواضعها، واجتمع أيضًا في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في معرفة النبات، وعايش منابته وتحقق ماهيته، وأتقن دراية كتاب ديسقوريدس إتقانًا عظيمًا».(٣٠)

وأضاف كحالة بعد أنَّ عدَّد مصادر ابن البيطار في كتابه "جامع المفردات" قوله: «ثمَّ ألحق ابن البيطار بقولهم من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكره غيره وشاهد بنفسه في مختلف البلدان، وعلى اختلاف الأسماء من بربرية وعجمية ولاتينية وفارسية، وضبطه على حروف المعجم، واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها، وبيَّن الصحيح فيها وما وقع الاشتباه فيه».(٣١)

وتضيف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه شهادتها حول ابن البيطار وجهوده في علم النبات واستخلاص العقاقير قولها: «وتعدَّدت التجارب، فكثرت المواد حتى أنّ ابن البيطار (١١٩٧–١٢٤٨) وهو أعظم عباقرة العرب في علم النبات، ضمَّ كتابه (الجامع) شرحًا لألف وأربعمائة نبتة طبية مع ذكر أسمائها وطرق استعمالها، وما قد ينوب عنها ومركزها من غيرها، بغض النظر عن المواد المعدنية والحيوانية. وقد حوى هذا الكتاب كلَّ علوم عصره في هذا الميدان، وكان تحفة رائعة تنمُّ عن ضمير علمي حي. ولم يكتف ابن البيطار بتمحيص ودرس آثار مئة وخمسين مؤلفًا من سالفيه الذين اعتمد عليهم في بحوثه بل انطلق من مدينته الأم، مالقة، بإسبانية، إلى مراكش وشمالي إفريقية ومصر وسورية وأسية الصغرى بحثًا عن النباتات الطبية، يراها بنفسه ويتيقن منها، فيذكرها في كتابه الجامع في الأدوية المفردة».(٣٢) الذي ذكر فيه أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة بالإضافة إلى منابت

الدواء ومنافعه، وتجاربه الشهيرة، وكان يقيّد ما يجب تقييده منها بالضبط وبالشكل والنقط تقييدًا لا يقع معه تصحيف أو تحريف.(٣٣)

وكان ابن البيطار قد تميَّز في تآليفه في مجال النبات بميزتين فريدتين أولاهما: نقده لأخطاء من ألفوا قبله من العرب وغيرهم فيما يتصل بأصناف الأدوية وأنواعها وبخاصّة الأدوية النباتية مما وقع الخلط فيها بينهم. وثانيهما: إسهامه في المادة النباتية العربية بإضافته نباتات جديدة من محض اكتشافاته إلى النباتات التي عرفها العرب من قبل سواء عن طريق الترجمة أو نتيجة التجارب الخاصة. وإضافات ابن البيطار في ذلك صنفان: أولهما: تمثّله النباتات الجديدة جدّةً كليةً باعتبارها نباتات مستقلة، وثانيهما: تمثّله أصناف جديدة لنباتات قد عرفت قبله.(٣٤)

وبعد هذا العرض، يرد هنا سؤال حتمي تطرحه طبيعة الدراسة حول البيئة النباتية وأثرها في تنوع المحاصيل النباتية المستخدمة في العلاج بما أوضحه ابن البيطار في مؤلفاته، بمعنى هل لاختلاف الأقاليم التي وقف عليها ابن البيطار أثرٌ في ا سـ تخلا صهلهذه المجموعات الواسعة من العقاقير الدوائية التي وصفها ضمن مؤلفاته؟!

وهذا التساؤل يجيب عنه واقع المادة العلمية التي وردت ضمن مؤلفاته ومعاجمه؛ التي حوت كمًا هائلاً من أنواع النبات ووصفات التداوي المستخلصة من تلك النباتات التي تنوَّعت بيئاتها وأشار إلى ذلك التنوع في تعريفة لنبتة أو ذكره لخواصها ومنافعها؛ وهي تطبيقات عملية ميدانية في بيئات النبات المختلفة يقف عليها من يطالع مؤلفاته وبخاصة كتابيه: "الجامع في الأدوية المفردة" وكتاب "الأدوية المفردة: تفسير كتاب دياسقوريدوس". من ذلك أنه حينما يذكر نبتة من النباتات المثبتة لديه؛ نراه يشير إلى موطنها الأصل، وما

يسمونها به، ثمَّ يذكر ما يقابلها من أسماء في مناطق أخرى سواء في موطنه الأصل الأندلس أم فيما زاره ووقف عليه ضمن رحلاته الواسعة، وربما أشار إلى استخداماتها الطبية في أيّ من هذه الديار، بما يستحق أن أورد شواهد سريعة من هذه النباتات التي أوردها ضمن كتابيه للاستشهاد العلمي، وذلك وفق الآتي:

أولاً: مما أورده في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية:

- (آطريلال): وهو اسم بربري وتأويله رجل الطائر، وهذا النبت يعرف بالديار المصرية برجل الغراب، وبعضهم يعرفه بجزر الشيطان أيضًا، وهو نبات يشبه الشبت في ساقه، وبزره هو المستعمل منه خاصة في المداواة، ينفع من البهق، وأوّل ما ظهرت منفعة هذا الدواء واشتهرت بالمغرب الأوسط في قبيلة من البربر تعرف ببني أبي شعيب من بني وجهان، من أعمال بجاية وكان الناس يقصدونهم لمداواة هذا المرض.[٣٥]
- (أبهل): زعمت جماعة من الأطباء أنه العرعر وهو خطأ. والأبهل هو صنف من العرعر كبير الحب وهو شجر كبير له ورق شبيهة بورق الطرفاء وثمرته حمراء دسمة تشبه النبق في قدرها ولونها.[٣٦]
- (أسيوس): وهو ثلج الصين عند القدماء من أطباء مصر ويعرفه عامة المغرب وأطباؤها بالبارود.[٣٧]
- (ايمارواي قالس): هو سوسن أصفر أوقفني عليه شرف الدين ابن القاضي الفاضل، وذكر أنه جلبه من دمشق إلى القاهرة.[٣٨]

- (باقلا قبطي) : وأهل مصر تعرفه بالجامسة، وغلط من قال هو الترمس. هو ينبت كثيراً بمصر، وقد ينبت أيضًا في البلاد التي يقال لها أثينا والبلاد التي يقال لها أقيلقيا ويوجد في المياه القائمة، وله ورق كبار مثل ورق قاطاقوس.(٣٩)
- (بخور الأكراد): قيل إنه الحماما، وقيل إنه النبات المسمى بالسريانية أندراسبون وبعجمية الأندلس بربطوره وهو الأصح لأن الأكراد في بلاد الشرق كثيرًا ما يستعملونه في البخور وخاصة بديار بكر يعرف بها بالسباه بوه.(٤٠)
- (عين ران): والزعرور عند عامة ديار بكر وإربل وغيرها من بلاد المشرق.(٤١)
- (غبيراء): هي شجرة معروفة ببلاد المشرق كله، وهي بالعراق كثيرة جدًّا وبالشام كذلك إلا إن التي بالعراق أكبر حجمًا، وقد يكون ثمرها على قدر الزيتونة المتوسطة ونواها صغير إلى الطول ما هو مهزول محدّد الطرفين ولونها أحمر ناصع الحمرة وطعمه حلو بقبوضة مستعذبة، ورأيت منها بالشام مثمرة وغير مثمرة، ويسمون الشجرة التي لا تثمر منها بدمشق الزيزفون ، وكذا رأيتها بقابس أيضًا.(٤٢)
- (فربيون): التاكوت بالبربرية ويعرف بالديار المصرية والشام باللوبانة المغربية. هي شجرة تشبه شجرة القثاء في شكلها تنبت في البلاد التي يقال لها لينوى، وفي الناحية من البلاد التي يقال لها موروشيا في المواضع التي يقال لها أوطومولناس مملوءة صمغًا مفرط الحد.(٤٣)
- (قراصيا): وأهل صقلية يقولون جراشيا. وهو حب الملوك عند أهل الغرب والأندلس ويعرف بدمشق قراصيا بعلبكي، وهي شجرة مشهورة ورقها وأغصانها سبطة مشوبة بحمرة وورق شبيه بورق المشمش ولها ثمر شبيه بالعنب مدور.(٤٤)

- (هُذيلية): اسم لنبات يعرفه شجَّارو الأندلس خاصة، ولم أره بأرض الشام وإنما أكثر ما رأيته بالأندلس بمدينة غرناطة على النهر الذي يشق المدينة في مسيله. وأصوله طعمها كطعم العاقرقرحا سواء في الحرافة والحدة.(٤٥)

ثانيًا: مما أورده في كتاب تفسير كتاب دياسقوريدوس:

- (ناردين أورني): هو سنبل جبلي أيضًا. وهذا هو المستعمل اليوم بديار مصر. مكان الرومي. وقوته قريبة منه، ولكن ليس به. وذكر الفاضل جالينوس السنبل الهندي وأنواعه في أول دواء من المقالة الثامنة.(٤٦)
- (قروقس): منسوب إلى موضع ببلاد الروم يسمى بذلك، وهو الزعفران. ومن أسمائه الجادي والجساد والريقهان والكركم أيضًا.(٤٧)
- (ماقر): هو البسباسة، وأهل الشام يسمونه الداركيسة. وذكر أنه قشر شجرة جوزبوا. وقد ذكره جالينوس في المقالة السابعة.(٤٨)
- (بطالايا): هو شجر الدردار، وهو المعروف عند أهل العراق بشجرة البق، وهو النشم الأسود بلغة أهل الأندلس. وذكرها جالينوس في المقالة الثامنة وسماها بنطادانيقا.(٤٩)
- (قستوس): وهو النبات المعروف عند عامة أهل الأندلس بالشقواص، وعامة المغرب تسميه الورد الجبلي، وآخرون يعرفونه بالورد الفحصي.(٥٠)
- (قاراسيا): وهي معروفة ببلاد الشرق والروم وديار مصر، ولم يتحقق أهل المغرب أمرها إلى الآن، ويوقعون هذا الاسم على ثمر عندهم يسمى بحب الملوك، وليس به، وذلك على ما حققته من قول دياسقوريدوس في هذا الدواء وما شاهدته من منبته

ببلاد أنطاليا، وتسميه أهل اللسان اليوناني قاراسيا. وذكرها الفاضل جالينوس في المقالة السابعة.(٥١)

- (لوطوس): قيل هو شجر النبق المصري، والصحيح أنَّ لوطوس هذا هو الشجر المعروف عند عامة أهل الأندلس بالنشم الأسود وهو اسم مشرك أيضًا، ويسمونه شجر الميس. وذكر النبق جالينوس في المقالة السابعة.(٥٢)
- (خندروس): هو الحنطة الرومية، وهو نوع من الشعير العربي، وعامة الأندلس تسميه شعير النبي عليه الصلاة والسلام، وذكره جالينوس في المقالة الثامنة.(٥٣)
- (فابش القبطي): هو نبات ليس من نبات بلاد المغرب، وإنما خصت به ديار مصر، وخاصة بموضع منها يعرف بشرمساح، ويسمونه عامة أهل مصر الجامسة – بالجيم– ولم يذكره جالينوس فيما علمت.(٥٤)
- **قرثمن:** وهو نبات تعرفه عامة أهل الأندلس بقرن الأيل، وهو ببعض سواحل إفريقية يسمى زبل النواتية. وذكره جالينوس في المقالة السابعة.(٥٥)
- **ثمبرا:** هو الصعتر الفارسي، وهو نوعان: بري وبستاني، ويعرف بلغة أهل الأندلس بالشطرية، وهذا النوع من الصعتر هو الموجود بديار مصر المزدرع في بساتينهم الدقيق الورق، وبالشام أيضًا.(٥٦)
- **ماليلوطس:** هو أكليل الملك، وهو أربعة أنواع: منه نوعا القرنج بلغة أهل الأندلس، اللذان أحداهما يستعمله أطباء مصر، والثالث المعقرب والرابع المدرهم الورق، وهو الدارشاه بالفارسي، وشجرة الحب بلغة أهل إفريقية. وذكره جالينوس في الثامنة.(٥٧)

ثم إنه يناسب أن أختم هذا المبحث بما تميَّز به ابن البيطار في كتبه عن غيره من علماء النبات من مظاهر تستحق التوقف عندها وفق الآتي:

أولاً: اجتهاده ودقته في وصف كل نبتة يوردها وربما أجزائها مع ذكر خواصها ومنافعها، وقد يذكر شكل النبات وطوله وامتداده وألوانه، ثمَّ يذكر موضع نبته وموسمه، ثم يُعقب ذلك كله باستخداماته الطبية.

ثانيًا: أنَّ مواد كتبه قد اشتملت على مواد ونباتات مذكورة في كتب سابقة لكنها غير معروفة سوى بأسمائها، فعمد إلى التعريف بها وإشهار فوائدها.

ثالثًا: أنه أضاف ضمن مؤلفاته أصنافًا من النباتات لم تكن معروفة أو مذكورة في كتب سابقيه، وقد درسها وجربها قبل ذكرها، وهو منهجه الذي سار عليه في معظم ما ذكره من أصناف النباتات التي أوردها في كتبه بما يؤكد الأثر العلمي البين لابن البيطار في مجال استخلاص العقاقير الطبية من النباتات والأعشاب التي أوردها.

- **الخاتمة:**

وبعد، فقد حاولت من خلال هذا البحث أن ألقى بعض الضوء على علم من أعلام الصيدلة والعقاقير في الإسلام بما تركه من آثار وافرة في علم النبات والأعشاب وا سد تخلاص الدواء، وهو ابن البيطار المالقي؛ لبيان جانب مهم من إسهامات العرب والمسلمين واكتشافاتهم العلمية في مجال من مجالات العلوم المهمة وهو علم النبات وبيئة النبات التي استحصل هذا العالم من خلالها جملة واسعة من العقاقير التي أمكن توضيفها في العلاج والتداوي.

ومن خلال ما تمَّ عرضه أمكن لي الوقوف على مجموعة من النتائج التي يمكن أن تمثل ختام هذا البحث، وذلك وفق الآتي:

- إنَّ مما يميز ابن البيطار إضافة لآثاره في مجال النباتات ووصف الأدوية والعقاقير؛ حفظه لآثار علمية برع فيها سابقوه ومعاصروه مما لم يصلنا إلينا إلا عن طريقه، ويكفي من ذلك ما حفظه ونقله من آثار أستاذه أبي العباس بن الرومية في علم النبات وبخاصة ما نقله من كتاب الرحلة أو الرحلة المشرقية الذي لم يصل إلينا إلا من خلال ما أورده في كتابه الجامع.
- أنه لعلَّ فيما تمَّ تقديمه عن ابن البيطار من اهتمامه بعلم النبات يشفع له أن يكون صاحب مدرسة في تاريخ هذا العلم عند العرب والمسلمين، ثمَّ إنَّ مما تميَّز به ابن البيطار على سابقيه وأقرانه أنه نجح في توظيف دراساته وأبحاثه في علم النبات لخدمة الطب والصيدلة بما وصفه وأضافه من إضافات رائدة في مجال العقاقير والدواء، بل إنَّ مما يحسب له إسهامه في استقرار المصطلح الطبي العربي من خلال معجمه "الجامع" الذي أصبح من بعده مصدرًا ثريًّا لكل متخصّص في العقاقير وذاع صيته لدى أطباء العرب والغرب.

- ثمَّ إنه من خلال مؤلفات ابن البيطار ومعاجمه في الأدوية تظهر لنا براعته ودقته في التفريق بين نباتات كلّ بيئة، وهو أمر لم يُسبق إليه من أصحاب التخصص في علم النبات والأدوية، وذلك بتميزه في الكشف عن ماهيات النباتات وتصنيفاتها دون خلط، وهذا مؤشر واضح لمدى دقته في معرفة خواص البيئة النباتية والتفريق بين بيئة وأخرى، مع ما تميَّز به ابن البيطار من منهجية علمية فريدة تعتمد التجربة وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط فيما يقف عليه من نبات في مواضعه لا على النقل والخبر في صناعة العقاقير، فالمفردات الطبية التي جمعها ابن البيطار لها صبغة علمية بحتة.
- وأخيرًا، فلعله من خلال هذه الدراسة تتأكد ضرورة إعادة الاهتمام بدراسة النبات والأعشاب لغرض استخلاص الأدوية والعقاقير الطبيعية بما سيثري برامج الطب البديل في التوجه إلى العلاج بتلك لأدوية والأعشاب بما يسمى الدواء المفرد بدلاً عن تعقيدات تركيبات الأدوية الكيميائية وآثارها حتى يتسنى لنا مواصلة ما قدمه أسلافنا من ثروات علمية في هذا الجانب.
- ثمَّ إنه في ختام هذا البحث، ينبغي أن ندرك أنَّ ابن البيطار أسهم إسهامًا عظيمًا في تطور طب الأعشاب والعقاقير لدرجة أنَّ علماء الغرب كانوا يقرءون ويتعلمون من كتابه "الجامع"، ويمتدحون سهولة قراءته والوصول إلى ما يبحثون عنه من نباتات وعقاقير فيه، الأمر الذي يؤكد أنَّ ابن البيطار يُعدُّ أفضل عالم نبات عرفته الحضارة الإنسانية، وأنه لم يكن لطب الأعشاب والعقاقير أن يتطور ليصل إلى ما وصل إليه اليوم دون إسهاماته.

هوامش البحث:

(١) طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م).- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م). ج١، ص ٣٠٧.

(٢) عمر رضا كحاله. العلوم البحتة في العصور الوسطى. دمشق: مكتبة الترقي ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، ص ٢٨٢.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت ٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب.- القاهرة: دار المعارف، [د.ت].- ج١، ص٣٨٠، ٣٨٢.

(٤) حسين علي السعدي. علم البيئة.- عمّان الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، (٢٠١٣م)، ص٥.

(٥) حسين السعدي. علم البيئة، ص ٥.

(٦) إبراهيم مراد. بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.- ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ (١٩٩١م)، ص ٢٩٧.

(٧) له ترجمة وافية عند كلٍّ من: ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء.- شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة (د. ت)، ص ٦٠١-٦٠٢؛ العُمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م).- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء التاسع (الحكماء والأطباء) تحقيق محمد خريسات، عصام عقلة، ويوسف ياسين. العين: الإمارات العربية المتحدة. مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١م، ج٩، ص ٤٩٧-٥٠٠؛ الكتبي، محمد بن شاكر(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). فوات الوفيات والذيل عليها، ط١، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (١٩٧٤م)، ج٢، ص ١٥٩-١٦٠؛ المقرّي، شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. ط١، تحقيق: الدكتور إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (١٩٩٧م). ج٢، ص ٦٩١-٦٩٢.

(٨) أمجد هندي. دور العرب في تقدم علوم الطب.- ط١، الكويت: دار سعاد الصباح (١٩٩٨م)، ص ٩٦-٩٧.

(٩) إبراهيم مراد. بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ٣٨-٣٩.

(١٠) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.

(١١) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١-٦٠٢

(١٢) إبراهيم مراد. بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ٢٨١-٢٨٢.

(١٣) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.

(١٤) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.
(١٥) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.
(١٦) فوات الوفيات. ج٢، ص ١٥٩-١٦٠.
(١٧) محمد عبدالرحمن مرحبا. الموجز في تاريخ العلوم عند العرب.- ط٣، بيروت: دار الكتاب اللبناني (١٩٨١م)، ص١٠٤.
(١٨) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.
(١٩) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.
(٢٠) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٠١.
(٢١) أمجد هندي. دور العرب في تقدم علوم الطب، ص ٩٧.
(٢٢) هناء فوزي عامر. مناهج الأطباء العرب- ط١، الكويت: دار سعاد الصباح، (١٩٩٣م)، ص١٥٠-١٥١.
(٢٣) الأشبيلي، أبو الخير(القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدمه وحققه محمد العربي الخطابي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٩٩٥م)، ج١، ص ٨-٩.
(٢٤) علي عبدالله الدفاع. إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة.- ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥)، ص ٣٩٣، ٣٩٥-٣٩٦.
(٢٥) علي الدفاع. إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ص٣٩٦-٣٩٧.
(٢٦) إبراهيم مراد. بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ٤٦٧-٤٦٨.
(٢٧) قدري حافظ طوقان. علماء العرب وما أعطوه للحضارة.- الرياض: منشورات الفاخرية؛ بيروت: دار الكاتب العربي، ص ٢١٨.
(٢٨) علي الدفاع. إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ص ٣٩٣.
(٢٩) علي الدفاع. إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ص ٤٠٩.
(٣٠) العلوم البحتة في العصور الوسطى، ص ٣٢٠-٣٢١.
(٣١) العلوم البحتة في العصور الوسطى، ص ٣١٩.
(٣٢) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط ٨، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي.- ط٢.- بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).- ص ٣٢٢.
(٣٣) قدري طوقان. علماء العرب وما أعطوه للحضارة، ص ٢٢٠.

(٣٤) ابن البيطار، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد المالقي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). في الأدوية المفردة: تفسير كتاب دياسقوريدوس.- ط١، تحقيق إبراهيم بن مراد، بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٩٨٩م). (مقدمة المحقق)، ص ٣٣-٣٤.

(٣٥) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، مج١/ ج١، ص ٦.

(٣٦)ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج١/ ج١، ص ٩.

(٣٧) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج١/ ج١، ص ٤١.

(٣٨) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج١/ ج١، ص ٩٥.

(٣٩) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج١/ ج١، ص ١٠٨.

(٤٠) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج١/ ج١، ص ١١٦-١١٧.

(٤١) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج٢/ ج٣، ص ١٩٦.

(٤٢) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج٢/ ج٣، ص ٢٠٢.

(٤٣) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج٢/ ج٣، ص ٢١٦.

(٤٤)ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج٢/ ج٤، ص ٢٤٩.

(٤٥) ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية، مج٢/ ج٤، ص ٤٩٩.

(٤٦) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١١٤.

(٤٧) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١١٨.

(٤٨) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٣٢.

(٤٩) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٣٣-١٣٤.

(٥٠) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٣٨-١٣٩.

(٥١) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٤٨.

(٥٢) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٥٠-١٥١.

(٥٣) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٧٦.

(٥٤) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٧٩.

(٥٥) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ١٨٦.

(٥٦) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٥٧) ابن البيطار. تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ٢٢٦-٢٢٧.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر:

- الأشبيلي، أبو الخير(القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدمه وحققه محمد العربي الخطابي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٩٩٥م).
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة (د. ت).
- ابن البيطار، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد المالقي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م).
- في الأدوية المفردة: تفسير كتاب دياسقوريدوس.- ط١، تحقيق إبراهيم بن مراد، بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٩٨٩م).
- طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م).- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- العُمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م).- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء التاسع (الحكماء والأطباء) تحقيق محمد خريسات، عصام عقلة، ويوسف ياسين. العين: الإمارات العربية المتحدة. مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١م.
- الكتبي، محمد بن شاكر(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). فوات الوفيات والذيل عليها، ط١، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (١٩٧٤م).
- المقرّي، شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. ط١، تحقيق: الدكتور إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (١٩٩٧م).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت ٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب.- القاهرة: دار المعارف، [د. ت].

ثانيًا: المراجع العربية والمعرَّبة:

- الدفاع، علي عبدالله. إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة.- ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥).
- السعدي، حسين علي. علم البيئة.- عمّان الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، (٢٠١٣م).
- طوقان، قدري حافظ. علماء العرب وما أعطوه للحضارة.- الرياض: منشورات الفاخرية؛ بيروت: دار الكاتب العربي.
- عامر، هناء فوزي. مناهج الأطباء العرب.- ط١، الكويت: دار سعاد الصباح، (١٩٩٣م).
- كحالة، عمر رضا. العلوم البحتة في العصور الوسطى. دمشق: مكتبة الترقي ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م).
- مراد، إبراهيم. بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.- ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ (١٩٩١م).
- مرحبا، محمد عبدالرحمن. الموجز في تاريخ العلوم عند العرب.- ط٣، بيروت: دار الكتاب اللبناني (١٩٨١م).
- هندي، أمجد. دور العرب في تقدم علوم الطب.- ط١، الكويت: دار سعاد الصباح (١٩٩٨م).
- هونكه، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب، ط ٨، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي.- ط٢.- بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).